عمل الثنائي « طائرة ــ دبابة » تتمثل في **تطهير الارض من الجو**، بغية السماح للقوات البرية بالتقدم لتنفيذ المهمات الملقاة على عاتقها .

وفي حرب ١٩٧٣ ، استطاعت شبكة الصواريخ أرض ــ جو ابطال عمل الطائرة ، واختل عمل الثنائي « طائرة ــ دبابة » الى حد ما . وهنا وجد الاسرائيليون ان آلتهم الحربية مهددة بالعطب اذا ما تمسكوا بالمفهوم التقليدي للقتال أو أصروا على ضرورة تطهير الارض من الجو قبل التقدم ، فلجأوا الى تدبير ثوري اعاد للالة الحربية المعادية حرية العمل . ويتمثل هذا التدبير في **تطهير الجو من الارض** ، اي في تدمير قواعد الصواريخ المضادة للطائرات بهجوم ارضي مفاجيء بحيث تحصل الطائرات على ممر أمين مفتوح في الجو يسمح لها بحرية العمل ، والعودة الى اسلوب تطهير الارض من الجو عند متابعة التقدم .

ولقد طبق العدو هذا الاسلوب في خرق الدفرسوار الذي كان عبارة عن اغارة مدرعة على الضفة الغربية كان من نتائجها تدمير قواعد الصواريخ واعطاء الطائرات « ممرا » ضيقا امينا لبدء العمل . ولقد وجدت الطائرات الاسرائيلية في بداية الامر صعوبة بالغة في المرور عبر هذا « الممر » ، ولكنها استطاعت رغم ذلك دعم القوة البرية على توسيع الممر الجوي من الارض . ولما اتسع الممر واخذ سلاح الجو الاسرائيلي حرية العمل الكافية بدأت طائراته مهمتها في تطهير الارض امام القوات البرية التي نفذت مناورة نصف المروحة باتجاه الجنوب .

*

هذه هي أهم الملامح الثورية في الحرب العربية ــ الاسرائيلة الرابعة . وهي تتسم بالثورية لما فيها من ابداع وتطوير وخروج عن الاساليب التقليدية . وستتحول هذه الاساليب « الثورية » مع الزمن الى اساليب تقليدية ، وتفقد ما كانت تتمتع به من مفاجأة . ولا شك في أن التطور في مجالي التسليح والتكتيك سينتزعان من هذه الاساليب الكثير من أهميتها . وقد تجد الصواريخ نفسها في الحرب الخامسة عاجزة عن انتزاع السيطرة الجوية من الطائرات بعد زيادة سرعة هذه الطائرات او رفع مستوى مناورتها او تزويدها بأجهزة تشويش ملائمة . وقد تفقد الهليكوبتر قدرتها على مجابهة الدبابات بفاعلية نظرا لاتساع نطاق استخدام الصواريخ الخفيفة المضادة للطائرات (سام ــ ٧ ، وبلوبايب ، وريد آي) ، وقد تزيد القطعات المدرعة عدد المشاة الميكانيكية المرافقة لها لمجابهة المشاة المعادية وحماية الدبابات من القانصين . وستظهر في أية مجابهة مقبلة اساليب « ثورية » جديدة تتناسب اهميتها وفاعليتها مع مدى ديناميكية فكر القيادات وسعة خيالها . ويكمن الخطر في اعتبار الاساليب « الثورية » التي نجحت في هذه الحرب « وصفة » جاهزة للحرب المقبلة ومفتاحا سحريا يضمن النجاح ، فالحرب نشاط انساني متحول يرفض الحلول الجاهزة ولا يقبل سوى الحلول العملية الملموسة الملائمة لكل ظرف على حدة.ويمكننا اعتبار فشل الجيوش الاوروبية المجمعة بكتل كثيفة امام مناورات جيش نابليون المتمفصل « بنظام فرقي » ، وتكسر حدة هجمات الخيالة امام نيران الرشاشات ، وانهيار خط ماجينو الحصين بعد التفاف المدرعات الالمانية عبر الاردين في عام ١٩٤٠ ، وتراجع الفرق الامريكية السريع امام هجمات كتل المشاة الكورية ــ الصينية الضخمة في حرب ١٩٥٠ ــ ١٩٥٣ ، وفشل القوة المادية الامريكية في احراز النصر في فيتنام (١٩٦٥ ــ ١٩٧٢) ، وتشتت المدرعات الاسرائيلية واضطراب تشكيلاتها بسبب المفاجأة الناجمة عن ضربات مشاة كثيفة مسلحة باعداد كبيرة من الاسلحة المضادة للدبابات ، امثلة تاريخية مختلفة الاهمية والحجم والنوعية ، ولكنها تمتلك عاملا مشتركا هو انها تبرهن